

التكامل المعرفي في التراث العربي: النحو والبلاغة أنموذجًا

Epistemological complementation in the Arabic tradition: Grammar and rhetoric as examples

⁽¹⁾ عادل البقالي | Adil El Baqali

⁽²⁾ ومصطفى العادل | Mustapha El Adel

(1) باحث في النحو والبلاغة، كلية اللغة العربية، جامعة القاضي عياض، مراكش، المغرب.
الإيميل: elbaqaliadil@gmail.com

(2) باحث في اللسانيات العامة، كلية الآداب، جامعة محمد الأول، وجدة، المغرب.
الإيميل: mustaphaeladel123@gmail.com

ملخص البحث:

نروم من وراء هذا البحث التنبيه إلى قضية التكامل المعرفي، والتدخل بين العلوم في التراث العربي الإسلامي، سواء التكامل والتدخل بين المعارف والعلوم الإنسانية في عموميتها، أو التكامل والتدخل بين العلوم المنطوقية تحت علم واحد كما هو الشأن بالنسبة لعلوم اللغة، أو ما يطلق عليه في اللسانيات الحديثة بالمستويات اللسانية. وتفترض الدراسة أن التكامل المعرفي والتدخل بين العلوم في التراث العرب الإسلامي مستمد من الوحي، ومن وحدانية الخالق، وأن التدكيم والتوكيل للذين عرفتهما العلوم في العالم المعاصر أفقد الإنسان القراءة الكونية والشمولية للعالم والإنسان، وأن التخصص إنما نبع مع الحادثة الغربية وتأثير الأمة الإسلامية بها وتقليلها والابتعاد عن ماضي أجدادها وحضارتها. وقد اخترنا تقسيم هذا البحث إلى مقدمة ومحبثتين وختمة. خصصنا المبحث الأول للحديث عن التكامل والتدخل بين المعارف والعلوم في التراث العربي، وعلاقة ذلك بقضية موسوعية العلماء، إضافة إلى التكامل بين المستويات اللغوية في التراث اللغوي العربي. أما المبحث الثاني فقد مثلنا لهذا التكامل اللغوي بعلمي النحو والبلاغة، واتخذنا عبد القاهر الجرجاني أنموذجاً؛ من خلال الاستغال على قضية التقديم والتأخير في كتابه (دلائل الإعجاز)، حيث أدرك تكاملية العلاقة بين وظيفة علم النحو وعلم البلاغة، فسعى إلى المزج بين الوظيفتين. أما الخاتمة فقد جعلناها خلاصات ونتائج لأهم ما توصل إليه البحث.

chapters and conclusion. The first topic is devoted to the complementarity and overlap between knowledge and science in the Arab world, its relationship with the issue of scholar's encyclopedia, in addition to the complementarity between linguistic levels in the Arab linguistic heritage. As for the second topic, we presented this linguistic integration in the sciences of grammar and rhetoric, and we took Abd al-Qaher al-Jarjani as a model. By working on the issue of "Hysteron-proteron" in his book (Evidnces of Miracles), he discovered the complementarity of the relationship between the function of grammar and rhetoric. He sought to combine the two functions. With respect to conclusion, it is a set of summaries and outcomes of the research.

Key words: cognitive Complementarity, overlap between the sciences, Arab heritage and language sciences

مقدمة:

يصادب المتأمل في نسق العلوم وانظامها في التراث العربي بما يشبه الصدمة، خاصة إذا استهونته المناهج الحديثة

الكلمات المفاتيح: التكامل المعرفي - التداخل بين العلوم - التراث العربي - علوم اللغة

Abstract

This research paper aims at raising awareness and shedding light on the concept of cognitive complementarity and the overlap between the sciences in the Arab-Islamic heritage. It traces not only the complementarity and the overlap between knowledge and the human sciences in their generality, but it also casts light on the complementarity and overlap between the sciences that are included in one science, namely language sciences. In modern linguistics, it is named "the linguistic levels". The study assumes that the cognitive complementarity and overlap between the sciences in the Arab-Islamic heritage derives from revelation and from the oneness of the Creator, and that deconstruction and dismantlement which the sciences have known in the contemporary world have made mankind lose the universal and comprehensive reading of the world and mankind. In addition, the specialization has appeared in the western modernity. Consequently, this has affected Islamic nation through imitation and leaving their ancestors' past and civilization. This research is divided into an introduction, two

ونهج أسلوب التفكيك والتدكك تأثراً بما جاءت به اللسانيات الحديثة والعلوم المعاصرة في الغرب؛ حيث مالت إلى الفصل والتجزؤ، وهو ما أفقد المعارف الإسلامية الحديثة علميتها وأصالتها. ويفي الحال كذلك طيلة القرون الأخيرة لا ينتج جديداً، ولا يقدم معرفة حقيقية متكاملة، ولا نتائج حديثة ومواكبة لما يعرفه العالم من تطورات سريعة وتغيرات جذرية. حيث انتشر التخصص، وصار المتخصص في مجال وعلم واحد يبحث بدوره لتجزؤ تخصصه إلى فروع أطلق عليها بعد عجزه عن الفهم وميله إلى الكسل: علوماً مستقلة. وهكذا تشتّرت المعارف مصاحبة لتشّرّج وموسوعية العلماء، فكان العالم الإسلامي القديم بمثابة الجذر، وكان العلماء المحدثون المتأثرون بالشخص بمثابة الفروع بل الأوراق.

لقد قادتنا إشكالية التخصص اليوم، وما أدت إليه من تفكيك وتجزؤ للعلوم، وتدكك أفقد الإنسان المعاصر النظرة الشمولية والكونية للعالم والإنسان والأشياء، بعدما كان العالم وحدة ينظر إليها العقل الإنساني على أنها صورة للخلق: مبدع الكون وصانعه، ينظر إليها ويسير في الأرض تدبرًا وتعبدًا.

ولقد تفرّعت عن هذه الإشكالية أسئلة عدّة تلخص في مجملها معاناة العلماء والباحثين اليوم من قصور في النظر، وعجز في الفهم العميق للوجود، لما غاب عنهم من أدوات النظر التي كان يمتلكها العلماء الموسوعيون زمن تكامل العلوم وتدخلها.

والنظريات اللسانية الغربية ردّاً من الزمن، حيث يتّبع المسالك الضيقة في التخصص وتخصص التخصص حتى إذا فقد معنى العلمية في البحث وشعر بالاصطدام، استفاق فادرك أن الطريق الحديث في التعاطي مع المعارف لا توصله إلى بر السلام ولا تنجيه من السير المتّعب دون وجهة.

للعلوم في التاريخ الإسلامي فلسفة خاصة، ومنطق فكري خاص، ومرجعية معرفية محددة، لا يسلم الجاهل بها: الساعي إلى مواصلة السير على نهجها دون الرجوع إليها، ودون النظر إلى العلوم والمعارف المستوردة نظرة نقدية لا تقديسية إسقاطية. ولعل قضية التكامل المعرفي بين العلوم في التراث العربي من أهم هذه القضايا الفكرية المنهجية، حيث إنها ترتبط بالنشاط الفكري والممارسة البحثية، وطرق التعامل مع الأفكار^(٣).

ولقد تم التعاطي مع المعارف الإسلامية بعد النهضة الأوروبية بأسلوب التقزيم والتفريع،

(٣) ملكاوى فتحى حسن، منهجية التكامل المعرفي: مقدمات في المنهجية الإسلامية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الولايات المتحدة الأمريكية، ١٩٨٢، ط. ٢، ٦، ص ٢٥

في التراث اللغوي العربي. أما المبحث الثاني فقد مثلنا لهذا التكامل اللغوي بعلمي النحو والبلاغة، واتخذنا عبد القاهر الجرجاني أنموذجًا: من خلال الاشتغال على قضية التقديم والتأخير في كتابه (دلائل الإعجاز)، حيث أدرك تكاملية العلاقة بين وظيفة علم النحو وعلم البلاغة، فسعى إلى المزج بين الوظيفتين. أما الخاتمة فقد جعلناها خلاصات ونتائج لأهم ما توصل إليه البحث. أملين أن يكون هذا العمل بداية لنا في مسيرة البحث في قضية تكامل المعرف، وأن يثير اهتمام الباحثين بهذا المجال.

المبحث الأول: التكامل المعرفي بين العلوم في التراث العربي

المحور الأول: التكامل المعرفي بين العلوم وموسوعية العلماء

لقد بدأت اليوم بوادر الحياة في العالم الإسلامي فكان من الضروري إعادة النظر في طريقة التعاطي مع المعرف والعلوم، إذ الفلاح الذي تنشده الأمة الإسلامية اليوم رهين بفهم جديد ونظرة تجديدية لقراءة تاريخ العلوم وأنساقها المعرفية: التي يمكن أن تكون ثمرة عمل استمولوجي باعتبار الاستمولوجي «علم العلوم أو الدراسة النقدية للعلوم»^(٤). ونظرًا

ولعل حالنا اليوم أشبه بمن وجد نفسه في غابة فدخلها وصعد شجرة، فجلس على فرع منها يتأمل الأوراق الصغيرة، وتستهويه الورقة الواحدة فيتأمل في خطوطها السميكة وجمال لونها... ضاع البحث، وغابت الغابة بكمال شساعتها عن الأذهان. فأنى لهذا الإنسان أن يعرف أن الغابة أشجار وأحجار وحيوانات ومياه وعصافير... وأنى له أن يعرف أن هذه المكونات تتكامل فيما بينها وتتداخل، ويحيا بعضها على حساب البعض الآخر.

هكذا بدأ التخصص في العلوم، حيث كانت وحدة متكاملة كلها تخدم الغاية الكبرى: طلب وجه الله ومعرفة الله، ثم تفرعت إلى علوم آلة وعلوم غاية، وعلوم نظرية وعلوم تطبيقية، ثم علوم حقة وعلوم إنسانية، وغيرها من عشرات الثنائيات الواردة في كتب تاريخ العلوم وفلسفتها. ثم تفرعت الفروع وفروع الفروع، حتى أصبح الباحث والدكتور وغيرهما من الأسماء المفخمة متخصصاً في حرف وصوت من حروف وأصوات اللسان العربي. لا يعرف عن باقي الأصوات شيئاً، فأنى له أن يعرف علوم اللغة مجتمعة، وأنى له أن يعرف أن اللغة إنما هي جزء من وحدة تتكامل في إطارها كل العلوم وتتداخل.

ولدراسة مختلف هذه الإشكاليات اخترنا تقسيم هذا البحث إلى مقدمة ومحبثتين وخاتمة. خصصنا المبحث الأول للحديث عن التكامل والتداخل بين المعرف والعلوم في التراث العربي، وعلاقة ذلك بقضية موسوعية العلماء، إضافة إلى التكامل بين المستويات اللغوية

(٤) الجابري محمد عابد، مدخل إلى فلسفة العلوم: العقلانية المعاصرة وتطور الفكر العلمي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان، ط٨، ص٨١.

بمصدرها الواحد، وهو الله سبحانه. سواء أكانت وحىًّا أوحى الله بها للإنسان بأساليب الوحي المعروفة، أم يسر للإنسان اكتشافها وتطويرها واكتسابها بأساليب البحث والسعى والنظر، ويكفي أن نشير في هذا المجال إلى جهود الغزالي وابن رشد وابن تيمية^(٧).

ويمكن أن نمثل لهذا الفهم العلمي بنصوص من التراث العربي الإسلامي، سواء عند المتقدين أو المتأخرين. فمن المتقدين على سبيل المثال لا الحصر ما أورده المبرد في قوله: «أفضل ما قصد له من العلوم كتاب الله - جل ذكره - والمعرفة بما حل فيه من حلاله وحرامه وأحكامه. وإعراب لفظه وتفسير غريبه (...) وأفضل العلوم بعد علم اللغة وإعراب الكلام، فإن بذلك يقرأ القرآن. وعليه تروي الأخبار والأشعار، وبه يزين المرء كتابه ويحل لفظه»^(٨). ومنه كذلك قول ابن الأنباري: «إن من أشرف العلم منزلة وأرفعه درجة، وأعلاه رتبة، معرفة معاني الكلام الذي يستعمله الناس في صلواتهم ودعائهم وتشجيعهم (...) في كتابي هذا، إن شاء الله، معاني ذلك كله، ليكون المصلي إذا نظر فيه، عالماً بما معنى الكلام الذي يتقرب به إلى خالقه، ويكون الداعي فهماً بالشيء يسأله ربه، ويكون المسبح عارضاً بما يعظم به سيده»^(٩).

لاهتمامها أيضاً «بتطور العلوم ومفاهيمها وطرق التفكير العلمية، وما ينشأ عن ذلك من قيام نظريات معرفية جديدة»^(٥).

إن التكامل المعرفي إطار مرجعي للمنهجية الإسلامية، «وهو تكامل منهجي شامل في مصادر المعرفة، وفي أدوات المعرفة، وهو أيضاً تكامل بين الأدوات والمصادر، ويقوم التكامل المعرفي على أساس الفطرة والضرورة»^(٦). وهذا التكامل إنما يستمد مصدره من وحدة الهدف الذي نشأت هذه العلوم والمعارف كلها من أجله وهو خدمة النص القرآني وفهمه تقرباً إلى الله وطلبًا لنيل رضاه واستعداداً للقائه.

إن استحضار المصير وما بعد الموت كان من العناصر الرئيسية في توجيه العلوم وتأسيسها، حيث إن هذه العلوم وجدت لخدمة الدين، ولعل حديث العلماء على التقسيم الثنائي بين علوم الآلة وعلوم الغاية، وبين علوم الرواية وعلوم الدرایة لخير دليل على وحدة المصدر والوسائل والغايات، رغم التقسيم الوظيفي بين بعض العلوم، ورغم التصنيف الذي كان صورة من صور الازدهار الحضاري والعلمي في الحضارة العربية القديمة. يقول ملكاوي: «وفي سياق الخطاب الإسلامي المتعلق بوحدة العلوم، تحدث كثير من العلماء المسلمين في الماضي على ضرورة المحافظة على وحدة العلوم والمعارف، بحكم ارتباطها جميعها

(٧) المرجع نفسه ص.٣.

(٨) المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد، الفاضل، تحقيق عبد العزيز الميموني، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط.٢، ١٩٩٥، ص.٤.

(٩) الأنباري أبو بكر محمد بن القاسم، الزاهري في معاني كلمات الناس، ت: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط.١، ١٩٩٦، ص.٣.

(٥) ملكاوي فتحي حسن، منهجية التكامل المعرفي: مقدمات في المنهجية الإسلامية، ص.٤.

(٦) المرجع نفسه، ص.٢.



تكسر الحواجز بين العلوم. «حركة العلم عبر التاريخ كانت متداخلة إلى حدود الاتحاد، وكانت التخصصات متعاونة (...). فتداخل المعرفة ليس مجرد لقاء عابر بين مختصين في حقول معرفية متعددة، يتحدثون جماعة عن موضوع ما! ولكنها عملية دمج مسالك المعرفة في مسلك واحد متداخل، يوفر القدرة على التفسير الكلي للكون وظواهره المختلفة»^(١٢). وفي السياق الإسلامي هو سبيل للوصول إلى عظمة الخالق، التي تستوجب بدورها عبادته جل وعلا حق العبادة، والقرب إليه، وطلب وجهه ونيل رضاه.

لقد كتب همام محمد كتاباً في غاية الأهمية وسمه بـ«تدخل المعرفة ونهاية التخصص في الفكر الإسلامي العربي: دراسة في العلاقات بين العلوم»، صدر عن مركز نماء للبحوث والدراسات في لبنان سنة ٢٠١٧. في طبعته الأولى، وقد سعى الكاتب إلى «دراسة ما ينشأ بين العلوم من تداخل وتفاعل، من منطلق أن التاريخ كان ملتقى للعلوم والمعارف. برغم وجود لحظات قد يضعف فيها الاندماج والتفاعل بين العلوم؛ لأسباب علمية أو أخرى فكرية واجتماعية، ولكن تبقى العلاقات المتبادلة بين العلوم، من خلال ما يتشكل بينها من روابط»^(١٣). وقد خصص همام في دراسته محوراً قيماً للحديث عن قضية التداخل المعرفي بين العلوم ممثلاً لذلك

أما المتأخرون فقد اقتصرنا على الشيخ الطنطاوي باعتباره أنموذجاً فريداً. من حيث السير على خطى المتقدمين. يقول الطنطاوي وهو يجعل الإيمان شرطاً في العالم الذي يؤخذ منه العلم: «إن هذا العلم دين فعلينا أن ننظر من نأخذ ديننا، وألا نأخذ العلم إلا عن رجل ثق بدينه كما ثق بعلمه. ونطمئن إلى إيمانه كما نطمئن إلى منطقه، فإن لم يكن إلا العلم والمنطق، لم ينفعه عند الله شيئاً»^(١٤).

يأتي هذا الكلام بعد وصف الطنطاوي لحاله في طلب العلم في الأزهر، وحال الناس في طلبهم للعلم دون أن يفصل ذلك عن الله تعالى والدين الإسلامي. باعتبارهما الغاية الأولى لطلب العلم. قال الطنطاوي: «لزمت عالماً أزهرياً متفنناً، فكنت أتصرف من المدرسة فأراجع دروسها على عجل... فأقعده مع الطلبة ننتظره حتى يفرغ من صلاته (...). منا تلميذ المدرسة، ومنا التاجر ومن الموظف ومنا الشاب ومنا الكهل، وما ينتهي أحد منا بالعلم، دنيا، ما ننتهي إلا العلم وحده لنعرف به الحلال من الحرام، نرى طلبه علينا فرضاً، وتحصيله عبادة، فكنا نجد في المطالعة لذة، وفي الحفظ مسرة، وفي التعب راحة، فنطالع الدرس قبل أن نقرأه، ونحقق مسائله ونحفظ شواهده ونفتتشر عن الشروح له والحوالشى عليه»^(١٥).

إن وحدة المصدر، ووحدة الغاية والهدف

(١٢) همام محمد، تداخل المعرفة ونهاية التخصص في الفكر الإسلامي العربي: دراسة في العلاقات بين العلوم، مركز نماء للبحوث والدراسات، دراسات فكرية (٩)، بيروت-لبنان، ط١، ٢٠١٨م، ص٥٥.

(١٣) المرجع نفسه، ص٩.

(١٤) الطنطاوي علي، في سبيل الإصلاح، دار المنارة للنشر والتوزيع، جدة، ط١٩٩٦م، ط٤١٩٩٧م، ص٣.

(١٥) المرجع نفسه، ص٢٢.

ومما ينبغي التنبيه إليه هو أن هذا التكامل والتدخل بين العلوم والمعارف ما كان ينبغي أن يكون له وجود فعلي فيما بين العلوم لولا أن استقر في أذهان وعقول العلماء المسلمين (الموسوعيين).

وموسوعية العالم تكون إما في تأليفه المنطوية تحت مجالات مختلفة وعلوم متعددة كالعلوم الحقة والعلوم الإنسانية وعلوم الدين. وإما في استحضاره لهذا التداخل وأدق التفاصيل المتعلقة بعلم من العلوم أثناء تأليفه في علم معين.

أما الحقيقة الأولى فيمكن النظر فيما تركه الرازي وابن رشد وابن سينا وجابر ابن حيان وصولاً إلى ابن خلدون وغيرهم. أما الحقيقة الثانية في يمكن أن نمثل لها ببعض النماذج من تصانيف التراث العربي الإسلامي. من ذلك قول ابن قتيبة في أدب الكاتب: «وليس كتبنا هذه لمن لم يتعلى من الإنسانية إلا بالجسم، ومن الكتابة إلا بالاسم، ولم يتقى من الأداة إلا بالقلم والدواة، ولكنها لمن شدا شيئاً من الإعراب، فعرف الصدر والمصدر، والحال والظرف، وشيئاً من التصارييف والأبنية، وانقلاب الباء عن الواو، والألف عن الياء، وأشباه ذلك.

ولا بد له -مع كتبنا هذه- من النظر في الأشكال لمساحة الأرضين، حتى يعرف المثلث القائم الزاوية، والمثلث الحاد، والمثلث المنفرج، ومساقط الأحجار، والمربعات المختلفات، القسيمي والمدورات، والعمودين، ويختبر

بنماذج من قبيل الفلسفة وتدخلات علمي الاجتماع والتاريخ، وعلمي اللغة واللسانيات والجغرافيا والأنثروبولوجيا والعلوم السياسية وعلم البيئة الإيكولوجيا، ليخلص إلى أن التداخل هو «العملة الصعبة التي تحتاج إليها المعارف والعلوم، وكذا فروعها الأكثر تخصصاً، من أجل الاستمرار في مسيرة التقدم، وتطوير المفاهيم وتجديد المنهج، وتعزيز النظريات، وخلق شروط أفضل لإبداع أفعع»^(١٤).

ويرتبط التكامل المعرفي بالرؤية الإسلامية للعالم حسب ملكاوي، حيث مكنت العقل المسلم من تطوير الفهم السليم لكون والحياة والإنسان: التي تتحدد في قضايا يمكن الإشارة إليها كالتالي^(١٥):

- النظرة الشاملة للعالم: التي تأخذ جميع الأجزاء والعناصر والمكونات والنظم بالحسبان.
- الرؤية الشاملة لحقائق الأشياء، باعتبارها قواعد وأطر مرجعية للفكر والسلوك ضمن نظام القيم العام للمجتمع.
- صورة يدرك فيها العقل الإنساني دقائق الكون والحياة والإنسان
- الإجابة عن الأسئلة الوجودية والمعرفية والقيمية بخصوص هذه الحقائق وال العلاقات بينها.

(١٤) همام محمد، تداخل المعارف ونهاية التخصص في الفكر الإسلامي العربي: دراسة في العلاقات بين العلوم، ص ٤٣.

(١٥) ملكاوي فتحي حسن، منهجية التكامل المعرفي: مقدمات في المنهجية الإسلامية، ص ٤-٤.

والحرمة، والندب والإباحة، وغير ذلك. وموضوع الطب هو بدن الإنسان، والطبيب يُسأل عن أحواله التي تعرض له من صحته وسقمه. وموضوع الحساب هو الأعداد، والحاسب يُسأل عن أحوالها التي تعرض لها من الضرب والقسمة والنسبة وغير ذلك. وموضوع النحو هو الألفاظ والمعاني، والنحو يُسأل عن أحوالهما في الدلالة من جهة الأوضاع اللغوية. وكذلك يجري الحكم في كل علم من العلوم، وبهذا الضابط انفرد كل علم برأسه ولم يختلط بغيره»^(١٧)، ليدل بدوره عن حضور مختلف العلوم وتدخلها وتكاملها في ذهنه، إذ يستعصي تحديد موضوع العلم إلا على من اطلع على العلم، وأخذ حظاً وافراً.

نخلص من خلال ما سبق إلى ما ميز العلوم في الثقافة الإسلامية من تكامل وتدخل وترتبط وتواصل: الناتجة عن عقلية العالم الموسوعي، حيث تأتي هذه العلوم كلها من المصدر الإلهي، مما يشكل عند هؤلاء العلماء الأساس المشترك لتكامل المعرفة ووحدتها^(١٨). وخدمتها للغاية الأساس: غاية الله.

وإذا كان هذا شأن العلاقة بين مختلف العلوم والمعارف فإن في التخصص والعلم الواحد تكاملاً وتدخلًا بين مكوناته كذلك. وفيما يلي إطلاعة على التكامل الحاصل بين العلوم

معروفة بالعمل في الأرضين لا في الدفاتر، فإن المُخبر ليس كالْمُعَاين، وكانت العجم تقول: (من لم يكن عالماً بإجراء المياه، وحفر فرض المشارب وردم المهاوي، ومجاري الأيام في الزيادة والنقص، ودوران الشمس، ومطالع النجوم، وحال القمر في استهلاكه وأفعاله، وزن الموازين، ودرع المثلث والمربع والمختلف الزوايا، ونصب القنطر والجسور والدوالي والنوعير على المياه، وحال أدوات الصناع ودقائق الحساب كان ناقصاً في حال كتابته).

ولا بد له من النظر في جمل الفقه، ومعرفه أصوله: من حديث رسول الله ﷺ وصحابته ﷺ، كقوله البينة على المدعى واليمين على المدعى عليه، (...). ولا بد له مع ذلك من مدارسة أخبار الناس، وتحفظ عيون الحديث، ليدخلها في تصاعيف سطوره ممثلاً إذا كتب، ويصل بها كلامه إذا حاور»^(١٩).

إن هذا النص ينم عن تكامل المعرف في ذهن ابن قتيبة، وقد جمع هذا النص بين علوم اللغة والأدب، والجغرافيا وعلوم الأرض، والهندسة، والفلك، والفيزياء، والكيمياء، والعلوم الشرعية.

ومن جهة أخرى يقول ابن الأثير: «موضوع كل علم هو الشيء الذي يسأل فيه عن أحواله التي تعرض لذاته فموضوع الفقه هو أحوال المكلفين، والفقير يسأل عن أحوالها التي تعرض لها من الفرضية والاستحباب، والحل

(١٧) ابن الأثير ضياء الدين. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر قدمه وعلق عليه: أحمد الجوفي وبدوي طبانه. دار نهضة مصر للطبع والنشر القاهرة، ص. ٣٧.

(١٨) ملكاوي فتحي حسن. منهجية التكامل المعرفي: مقدمات في المنهجية الإسلامية. ص. ٣٤.

(١٩) ابن قتيبة. أبو محمد عبد الله بن مسلم. أدب الكاتب. حققه وعلق حواشيه ووضع فهارسه: محمد التالى. مؤسسة الرسالة. سوريا. ص.

واللسانيات التوليدية. ولم يظهر النظر إلى السياق الوظيفية -من حيث التنظير اللساني- إلا بعد انتشار اللسانيات الوظيفية والتداولية. وظهور اللسانيات التطبيقية، خاصة بعض الفروع التي صارت اليوم مستقلة، منها: اللسانيات الاجتماعية، واللسانيات النفسية. ومن جهة أخرى فقد ظهرت اللسانيات السياقية في بريطانيا بقيادة فيرت؛ حيث رفض دراسة اللغة في مستوياتها الجزئية، التركيبية والصرفية والصوتية والدلالية، دون ربطها بسياقها الاجتماعي والثقافي والنفسى، وقد ذهب فيرت إلى أن للكلام وظيفة اجتماعية باعتباره وسيلة للاتصال، وطريقة للاتصال، وطريقة لتمييز المجموعات الاجتماعية المختلفة، كما أن دراسة الكلام دون الرجوع إلى المجتمع الذي يتحدث به هو استبعاد لاحتمالات وجود تفسيرات اجتماعية للأبنية والصيغ المستخدمة في الكلام»^(٢٠).

لقد برزت التخصصات الضيقية في اللسانيات خلال القرنين التاسع عشر والعشرين. وبالرغم مما تشهده اللسانيات اليوم من تفرع في النظريات فقد «بدأ الارتباط من جديد في إطار تداخل على مستوى المفاهيم والمناهج والمضامين»^(٢١). وقد جاء هذا التجانس من جديد بعدهما أدرك العلماء واللسانيون أن

(٢٠) مختار أحمد عمر، علم الدلالة، دار العروبة للنشر والتوزيع، ١٩٨٦م، ص. ٦٧-٦٩. كزار حسن، اللسانيات الاجتماعية في الدراسات العربية الحديثة، التلقى والتمثيلات، دار الرافدين للطباعة والنشر والتوزيع، العراق، ط. ٢، ٢٠٠٨م، ص. ٨٣-٨٥.

(٢١) همام محمد، تداخل المعارف ونهاية التخصص في الفكر الإسلامي العربي: دراسة في العلاقات بين العلوم، ص. ١٦.

اللغوية، أي ما يطلق عليه في الدرس اللساني الحديث بالمستويات اللغوية.

المحور الثاني: تكامل المستويات اللغوية وتداخلها في التراث اللغوي العربي

لقد كانت العلاقة بين العلوم والمعارف علاقة تداخل وتكامل، ووصل البحث فيها إلى قضية تاريخ العلوم ونظرية المعرفة^(٢٢). واليوم قد بدأت في الساحة الفكرية والمعرفية، واللغوية بالخصوص قضية التكامل من جديد، حيث ظهرت النظريات اللسانية، تعبرًا عن صورة دقيقة من التخصص، بدأت بدراسة اللسان من جانب طابعه الفردي، وبعزله عن مختلف العوالم الخارجية مع لسانيات سوسير. ثم اختلفت وجهات نظر اللسانيات الكثيرة إلى الظاهرة اللغوية، وتعدد مناهج وطرق دراسة الألسن، حتى ظن اللسانيون إمكانية دراسة اللغة أو اللسان من جهة واحدة، والنظر إليه من زاوية خاصة.

إن الدقة المنهجية والنظرية العلمية في اللسانيات الحديثة، وعند معظم اللسانيين هي التي تعالج قضيابا لسان طبيعي في مستوى محدد، ولا قيمة للدراسة التي تجمع بين المستوى الترسيبي للسان بمستواها الدلالي والصوتي والصرفي والمعجمي وال التداولي. كان هذا هو التصور السائد في اللسانيات البنوية

(٢٢) همام محمد، تداخل المعارف ونهاية التخصص في الفكر الإسلامي العربي: دراسة في العلاقات بين العلوم، ص. ١٥.

ولأن ما يهمنا في هذا المقام هو التكامل والداخل الحاصل بين علوم اللغة العربية، فقد «كان الحرص على صون الاتصال ودفع الانفصال عاملًا من العوامل المهمة في الحفاظ على تراث العلوم العربية الإسلامية، وعدم اهتزازه وسقوطه أمام التحولات التاريخية الكبرى التي عصفت بالأمة، فكانت مقوله الاتصال والانسجام والمصالحة بين المعرفة والعلوم من أهم المقولات التي ضمنت للذات استمرار الارتباط بالأصول الراسية التي شكلت المنطلقات الأولى، والنسخ على منوالها لإعادة إنتاج الذات بما يضمن استمرار القيم والأفكار والمفاهيم المؤسسة، ويربط الماضي بالحاضر ربطة تفاعليًّا يحدد نوع الإنتاج الفكري والتصنيف العلمي...»^(٢٥).

ومن التكامل في التراث اللغوي العربي وتدخله، خاصة في علاقة النحو بباقي المستويات اللغوية، ما وصف به من قيامه على المعيارية وتختلف النزعة الوصفية حينًا، والبحث فيه عن الأصول اللسانية الوصفية حينًا آخر فقد ألفت في السنوات الأخيرة تأليف في غاية الأهمية في استنطاق بعض المناهج الحديثة في التعامل مع اللغة من خلال التراث، وحاولت التأصيل لبعض النظريات اللسانية من خلال إعادة قراءته وفق المناهج الجديدة والمفاهيم الحديثة المؤسسة لكل نظرية واتجاه.

توصلت بعض الدراسات إلى حقيقة كثيرة، منها: أن «الدرس اللغوي العربي كان قائماً

(٢٥) بودر عيد الرحمن. الأسس المعرفية للغوبات العربية. دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع. ط١. ٢٠١٣م ص: ٩-١٣.

التخصص حجز عن العلماء والباحثين كل ما دون تخصصهم من معارف وخبرات، بل إن التخصص في نظرهم هو المسؤول الأول عن عجزنا في فهم مختلف قضايا مجتمعاتنا^(٢٦)، وارتباطًا بعلم اللغة: العجز في فهم مختلف قضايا اللغة واللسان العربي.

يجدر بنا التذكير هنا بأن علوم العربية «قامت منذ نشأتها على أسس كلامية وأصولية تشهد بتماسك مشروع التصنيف العلمي في الذهنية العربية الإسلامية، وتجانس العلوم العربية الإسلامية، وانسجامها وعدم تعارضها»^(٢٧). في الوقت الذي اعتبرت فيه علوم اللغة آلة لفهم النصوص وبلغ معانيها، لذلك «قام الأصوليون بالربط بين القواعد اللغوية وعملية استنباط الأحكام من النصوص، ووضعوا موازين تعين على المعاني الصحيحة من ألفاظ اللغة وتراكيبيها، ووضعوا سلماً يمثل تدرج وضوح الدلالات والروابط بين الألفاظ، ودققوا في فهم كلام العرب، إلى درجة لم يصلها النحاة ولا اللغويون، وأعملوا نظرهم الأصولي الثاقب، فزادوا في الاستقراء على استقراء اللغويين»^(٢٨).

(٢٦) نبيل علي. الثقافة الغربية وعصر المعلومات. سلسلة عالم المعرفة. رقم ٥٦. منشورات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. الكويت. يناير ٢٠١٣م، ص ٤٤. همام محمد. تداخل المعرفات ونهاية التخصص. ٢٠١٨م، ص ٥.

(٢٧) بودر عيد الرحمن. الأسس المعرفية للغوبات العربية. دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع. ط١. ٢٠١٣م ص ٩. (تقديم ط٢).

(٢٨) همام محمد. تداخل المعرفات ونهاية التخصص في الفكر الإسلامي العربي: دراسة في العلاقات بين العلوم. ص ١٩٤.

اليوم، فإن إدراك القرآن وفهم دقائق التفسير وأحاديث الرسول ﷺ وأصول العقائد، وأدلة الأحكام، وما يتبع ذلك من مسائل فقهية، وبحوث شرعية مختلفة مشروط بمعرفة علم النحو^(٢٩)، باعتباره دعامة كل العلوم العربية وقانونها الأعلى.

وللنحو علاقة بعلم التصريف والبلاغة والدلالة وعلوم البيان وغيرها. قال ابن جني: والتصريف «وسيلة بين النحو واللغة يتجازبها، والاشتقاق أقعد في اللغة من التصريف، كما أن التصريف أقعد إلى النحو من الاشتتقاق، بذلك على ذلك أنك لا تجد كتاباً في النحو إلا والتصريف في آخره^(٣٠). والنحو إنما بنيت قواعده للدلالة، وإلا فما التمييز بين الحال والصفة، وبين التمييز والبدل، وبين الفاعل والمفعول، وبين أنواع المفاعيل إلا للتمييز الدلالي التداولي.

أما موضوع علم البيان فهو الفصاحة والبلاغة وأحوالهما اللفظية والمعنوية، ويشتركان هو والنحو في أن النحو ينظر في دلالة الألفاظ على المعاني من جهة اللغوي، في حين ينظر البيان في فضيلة تلك الدلالة^(٣١). وفي المبحث القادم رصد لأوجه التكامل بين علم البلاغة والبيان وعلم النحو.

(٢٩) عباس حسن، النحو الوافي، دار المعرفة، مصر، ط٣، ١٩٧٤م، ص١.

(٣٠) ابن جني أبو الفتح عثمان، المنصف، شرح لكتاب التصريف للإمام أبو علي المازني النحوي البصري، تر: لجنة علمية منها الأستاذان إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين، إدارة إحياء التراث القديم، ط١، ١٩٦١م، ج١، ص١.

(٣١) ابن الأثير ضياء الدين، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ص٣٧.

على ثلاثة أصناف هي المعيارية الوصفية والتفسيرية وليس مجرد صنفين^(٣٢). وهذه الأصناف الثلاثة في اللسانيات تمثل مرحلة اللسانيات التاريخية والمقارنة التي بدأت منذ القرن السابع عشر، ومرحلة اللسانيات البنوية الوصفية مع دو سوسير، ومرحلة اللسانيات التوليدية التفسيرية مع تشومسكي.

ونظراً لأهمية النحو (التركيب) بالنسبة لباقي العلوم اللغوية فقد اهتم بعض الباحثين والعلماء، خاصة المستشرقين بالتراث العربي والنحو خاصة وعلاقته بالقضايا الفلسفية والمنطقية وقيامه على قواعد رياضية وصورية محضة. حتى قالوا بأن «خلو العلوم من الافتراض الذي عيب على اللغويين العرب مستحيل وغير وارد. إذ تصبح مجرد معارف سطحية تقصر على الظاهرة دون استكناه لما وراءه من أنظمة وقوانين»^(٣٣). قال همام: «يعلم النحاة أن كثيراً من التفسيرات أو التبريرات الدلالية والرمزية لمجموعة من الجمل والتركيب توجد خارج علم النحو، أي عند علوم أخرى. كعلم النفس والمنطق مثلًا. وهذا ما يجعل علوم اللغة تنفتح على حقول أخرى في إطار تداخل متعدد المستويات»^(٣٤). وإذا كان القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف هما المصادران في الرؤية الشمولية، ورؤيه العالم في الفكر الإسلامي

(٣٢) عبد الدايم محمد عبد العزيز النظير اللغوية في التراث العربي، دار السلام للطبع والنشر والتوزيع والترجمة، مصر، ط١، ٢٠٠٣م، ص٦٣.

(٣٣) المرجع نفسه، ص٦٤.

(٣٤) همام محمد، تداخل المعرفات ونهاية التخصص في الفكر الإسلامي العربي: دراسة في العلاقات بين العلوم، ص١٣٤.

والتساند القائم بين وظائفها عموماً وعلمي النحو والبلاغة خصوصاً. إلا أن هذه العلاقة القوية لم يكتب لها الاستمرار عند الكثير من العلماء، خاصة بعد نضج العلوم العربية، إذ بدأ كل علم يستقل بنفسه: وبمصطلحاته وقواعدـه، ومنهجـه، وبدأ يُنـظر إلى كل علم في استقلال عن العلم الآخر وفي معـزل عنه، مما نـتج عنه التـضيـيق في وظـيـفة كل علم.

ولعل السبب في ذلك انـفصـال كل علم عن أخيـه وأـسـرـته التي تـربـيـطـ بينـ أـفـرـادـهـ رـابـطـةـ مـوـحـدةـ مـمـثـلـةـ فيـ خـدـمـةـ الـقـرـآنـ وـفـهـمـهـ، وـقـدـ أـحـسـ طـائـفـةـ منـ الـعـلـمـاءـ بـأـهـمـيـةـ الـعـلـاقـةـ التـكـامـلـيـةـ بـيـنـ وـظـائـفـ الـعـلـومـ الـعـرـبـيـةـ خـاصـةـ فيـ فـهـمـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ، وـفـيـ إـدـرـاكـ وـجـهـ إـعـجـازـهـ مـدـرـكـينـ أـنـ تـوـظـيـفـ كـلـ عـلـمـ فيـ مـعـزلـ عـنـ الـعـلـمـ الـآـخـرـ سـيـنـتـجـ عـنـهـ فـهـمـ جـزـئـيـ لـلـقـرـآنـ، وـإـدـرـاكـ جـزـئـيـ لـوـجـهـ إـعـجـازـهـ، فـيـ حـيـنـ أـنـ تـوـظـيـفـ كـلـ الـعـلـومـ الـعـرـبـيـةـ تـوـظـيـفـاـ صـحـيـحاـ فـيـ إـطـارـ عـلـاقـةـ تـكـامـلـيـةـ بـيـنـهـمـ سـيـنـتـجـ مـعـرـفـةـ مـتـكـامـلـةـ وـنـاضـجـةـ، وـفـهـمـاـ دـقـيـقاـ لـمـقـاصـدـهـ، وـمـنـ أـبـرـزـ هـوـلـاءـ الـعـلـمـاءـ الـذـيـنـ أـدـرـكـواـ الـعـلـاقـةـ التـكـامـلـيـةـ بـيـنـ عـلـمـ الـنـحـوـ وـبـلـاغـةـ الـعـالـمـ عبدـ القـاـهـرـ الـجـرـجـانـيـ (تـ ٦٧٦ـ هـ) فـقـدـ اـعـتـبـرـ أـنـ «ـالـتـرـكـيـبـ الـنـحـوـيـ لـهـ مـعـنـىـ أـوـلـ يـدـلـ عـلـىـ ظـاهـرـ الـوـضـعـ الـلـغـوـيـ، وـلـهـ مـعـنـىـ ثـانـ وـدـلـالـةـ إـضـافـيـةـ تـبـعـ الـمـعـنـىـ الـأـوـلـ، هـذـاـ الـمـعـنـىـ الـثـانـيـ وـتـلـكـ الدـالـلـةـ إـضـافـيـةـ هـيـ الـمـقـصـدـ وـالـهـدـفـ فـيـ الـبـلـاغـةـ، وـقـدـ جـهـدـ عـبـدـ القـاـهـرـ فـيـ سـبـيلـ هـذـاـ الـهـدـفـ، وـشـقـيـ فـيـ الـوـصـولـ إـلـىـ ذـلـكـ الـغـرـضـ، حـتـىـ خـرـجـ بـقـاعـدـةـ لـاـ تـخـلـفـ، وـقـانـونـ لـاـ يـقـيلـ الـنـقـضـ، وـهـوـ أـنـ دـقـةـ

المبحث الثاني: التكامل في التراث اللغوي العربي القديم (النحو والبلاغة أنموذجاً)

المحور الأول: مدخل عام إلى التكامل بين النحو والبلاغة في التراث اللغوي العربي

حظي القرآن الكريم منذ نزوله بانتباه المسلمين وعانتـهمـ، فـبـإـضـافـةـ إـلـىـ تـلـوـتـهـمـ لـهـ وـفـهـمـ نـصـوصـهـ: حـرـصـواـ عـلـىـ إـدـرـاكـ أـسـرـارـهـ، وـاهـتـمـواـ بـمـعـرـفـةـ أـغـرـاضـهـ وـمـضـامـينـهـ، وـهـوـ مـاـ دـفـعـهـمـ إـلـىـ تـشـيـيدـ بـنـيـانـهـمـ الـعـلـمـيـ الأـصـيلـ، فـكـانـ الـقـرـآنـ الـمـصـدـرـ الـذـيـ نـشـأـتـ فـيـ كـنـفـهـ عـلـومـ شـتـىـ، وـمـنـ بـيـنـ الـعـلـومـ الـتـيـ تـأـسـسـتـ فـيـ كـنـفـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ عـلـمـ الـنـحـوـ وـبـلـاغـةـ، الـلـذـانـ اـتـحـداـ مـعـاـ لـخـدـمـتـهـ، وـفـهـمـهـ، وـمـعـرـفـةـ إـعـجـازـهـ وـمـزـايـاهـ، وـأـسـرـارـهـ، وـنـظـرـاـ لـأـهـمـيـةـ هـذـيـنـ الـعـلـمـينـ فـيـ فـهـمـ الـقـرـآنـ وـالـدـفـاعـ عـنـهـ وـبـيـانـ مـوـاطـنـ إـعـجـازـهـ، فـقـدـ حـظـيـاـ بـاـهـتـمـامـ كـبـيرـ مـنـ لـدـنـ الـعـلـمـاءـ الـعـرـبـ، وـخـاصـةـ الـقـدـمـاءـ مـنـهـمـ، مـمـاـ جـعـلـهـمـ يـنـهـضـونـ إـلـىـ التـأـلـيـفـ فـيـهـمـاـ: ذـلـكـ أـنـهـمـ أـلـفـواـ كـتـبـاـ ضـخـمةـ فـيـ الـمـجـالـيـنـ، يـعـكـسـونـ مـنـ خـلـالـهـاـ وـظـيـفـةـ كـلـ عـلـمـ، وـيـسـعـونـ مـنـ خـلـالـهـاـ إـلـىـ بـنـاءـ قـوـاـدـ عـامـةـ تـضـبـطـ كـلـ عـلـمـ حـتـىـ يـتـمـكـنـ مـنـ أـدـاءـ وـظـيـفـتـهـ الـمـنـوـطـةـ بـهـ، وـهـيـ وـظـيـفـةـ ذـاتـ فـرـوعـ مـتـعـدـدةـ، كـلـ فـرعـ تـجـدـ لـهـ اـمـتـدـادـاتـ فـيـ عـلـمـ آـخـرـ، مـمـاـ يـعـكـسـ الـعـلـاقـةـ الـوـثـيقـةـ الـرـابـطـةـ بـيـنـ جـلـ الـعـلـومـ الـعـرـبـيـةـ.

عبد القاهر من أبرز العلماء الذين وظفوا النحو والبلاغة توظيًفاً متكاملاً، دون أن يقف عند مستوى الصحة والخطأ في التركيب بل تجاوز هذا المستوى إلى مستوى آخر وهو مستوى البحث في الأسرار الفنية التي تكون وراء المستوى الأول. وللوقوف عند هذا التكامل لا يأس من العودة إلى بعض الأبواب من كتابه «دلائل الإعجاز» وستقف مع باب التقديم والتأخير كنموذج، لنبرز منه هذا التكامل.

المحور الثاني: تكامل النحو والبلاغة في كتاب (دلائل الإعجاز) لعبد القاهر الجرجاني، باب التقديم والتأخير أنموذجًا

يعتبر عبد القاهر الجرجاني -كما سبق الذكر- من أبرز هؤلاء العلماء الذين أدركوا حقيقة تكاملية العلاقة بين العلوم العربية في فهم كتاب الله تعالى، لذلك سعى إلى بلورة نظرية لغوية قائمة الأركان، جاعلاً من توخي معاني النحو وأحكامه قبلها النايس، وموظفاً إياها في فهم القرآن، ومرجعاً إليها وجه إعجازه. وكان منطلقه فيها علم النحو وأحكامه، فوظفه توظيًفاً فنيًّا تجاوز به مستوى الأول المتمثل في البحث عن الصحة والخطأ إلى المستوى الثاني المتمثل في البحث عن المزايا واللطفائف التي تكون وراء المستوى الأول، فكان النحو الذي سلكه في نظريته هو النحو البلاغي الذي سعى إلى إبراز تجلياته ومظاهره في كتابه (دلائل الإعجاز).

النظم والبلاغة والبراعة والبيان كامنة في معاني النحو، ومطوية في التركيب اللغوي»^(٣٣) ومن ثم لم يقف الجرجاني عند النحو في حدود شكليته، إذ لا يعبر القواعد التي تضمن السلامة في الكلاماهتمامًا كبيراً معتبراً ذلك من مقتضيات النص المراد دراسته، وإنما تجاوز ذلك للوقوف على مكامن المزية في التراكيب النحوية، من خلال إدراك الفروق بين طرائق التركيب، إيماناً منه بأن المزية في التراكيب النحوية كالتقديم والتأخير والذكر والحذف، والتعريف والتنكير، والفصل والوصل... ليست في ذاتها، ولكن مزيتها تعرض لها بحسب المقام، وبحسب المعاني والأغراض التي يوضع لها الكلام، ثم بحسب موقع بعضها من بعض، واستخدام بعضها لبعض.

ومن ثم يكون عبد القاهر الجرجاني قد «وجد في دراسته النحوية مفتاحاً لقضية النظم محظ الإعجاز وموطن الفصاحة، فالنحو عنده لم يقف عند صنع العبارة السليمة من الخطأ، بل تعدى إلى صنع العبارة البليغة»^(٣٤)، ذلك أن القارئ والمتأنل لكتابه «دلائل الإعجاز» سيجد أن عبد القاهر قد «أنفق من الجهد شيئاً كثيراً جداً، يؤكد ذلك أن البلاغة هي النحو، وأن النحو هو البلاغة، فجنج بالبلاغة إلى النحو في أقل تقدير لأن معنى النظم الذي عليه مدار البلاغة والتعلق النحوي ليس غيره»^(٣٥). ومن ثم يكون

(٣٣) لاشين، عبد الفتاح، التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية، دار المریخ للنشر، ص. ٦.

(٣٤) خفاجي عبد المنعم، والسعدي محمد، وشرف، عبد العزيز، الأسلوبية والبيان العربي، الدار المصرية اللبنانية، ص. ٧٢.

(٣٥) مرزوق، حلمي على، في فلسفة البلاغة العربية (علم المعاني)، دار الفرقان للطباعة والنشر، ص. ٣١

على تسمية الأول (بالرتبة المحفوظة)، وتسمية الثاني (بالرتبة غير المحفوظة). فمن الرتب المحفوظة في التركيب العربي «أن» يتقدم الموصول على الصلة، والموصوف على الصفة، ويتأخر البيان عن المبين، والمعطوف بالنسق على المعطوف عليه، والتوكيد عن المؤكّد، والبدل عن المبدل، والتمييز عن الفعل ونحوه، وصدارة الأدوات في أساليب الشرط، والاستفهام والعرض والتحضير ونحوها، وهذه الرتبة لها (صدارة الأدوات) هي التي دعت النحاة إلى صوغ عبارتهم الشهيرة (لا يعمل ما بعدها فيما قبلها)، ومن الرتب المحفوظة أيضاً تقدم حرف الجر على المجرور، وحرف العطف على المعطوف، وأداة الاستثناء على المستثن، وحرف القسم على المقسم به، وووأو المعيية على المفعول معه، والمضاف على المضاف إليه، والفعل على الفاعل أو نائب الفاعل، وفعل الشرط على جوابه^(٣٧)، أما الرتب غير المحفوظة فنحو «رتبة المبتدأ والخبر، ورتبة الفاعل والمفعول به، ورتبة الضمير والمرجع، ورتبة الفاعل والتمييز بعد نعم، ورتبة الحال والفعل وتقوم الرتبة في كل ذلك قرينة من القرآن المتضادرة على تعين الباب»^(٣٨)، ولم يقفوا عند هذا الحد فحسب، بل امتدوا إلى الحديث عن رتب عناصر التركيب عندما تنتفي العلامة الإعرابية ويتعذر ظهورها نحو (ضرّب موسى عيسى) واحتكموا في ذلك إلى الرتبة

مما لا شك فيه أن باب التقديم والتأخير من الأبواب التي تظهر فيها المواهب والقدرات، وتبهر فيها قوة التمكّن في الفصاحة، وحسن التصرف في مكونات الكلام عموماً والجملة خصوصاً وذلك من خلال الدقة في وضعها الموضع الذي يتناسب والمعنى من خلال استحضار خصوصيات المتكلّي، حتى يكون له أحسن موقع في قلوب المخاطبين.

وقد تناول سيبويه باب التقديم والتأخير في أثناء معالجته للمسائل النحوية ووضع القواعد التي تضمن عند مراعاتها الصواب في الكلام، فأشار في ذلك إلى أن هذا الباب يرتبط بتركيب الجملة وبترتيب عناصرها، وقد بين معظم النحو أن الأصل في الجملة الفعلية أن يأتي عنصر الفعل أولاً، وعنصر الفاعل ثانياً، وعنصر المفعول به ثالثاً، وأن الأصل في الجملة الاسمية أن يأتي عنصر المبتدأ أولاً ثم يليه الخبر ثانياً، فكان «النحويون يهتمون به (التقديم والتأخير) انتلاقاً من مبدأ (الرتبة) أو مراعاة الأصل»^(٣٥)، كما اعتبروا أن كل تغيير في ترتيب عناصر الجملة الأصلية يرتبط بمقصد من المقاصد عند المتكلم، كمقصد العناية والاهتمام الذي أشار إليه سيبويه في أثناء حديثه عن ذلك في باب (الفاعل الذي يتعدى فعله إلى مفعول). وبعد أن تبع النحو رتب عناصر التركيب في كلام العرب، وجدوا أن هناك رتبة لا يجوز دخول التقديم والتأخير فيها، وأن هناك رتبة يجوز فيها التقديم والتأخير، فاصطلحوا

(٣٦) حسان، تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، ص ٢٧.

٣٧) اللغة العربية، معناها ومتناها، ص ٧-٨-٩.

(٣٥) محمد، أحمد سعد، الأصول البلاغية في كتاب سيبويه وأثرها في الدرس البلاغي، ص ٣٩.

تظهر بها مزية الكلام، ويعلو بها أسلوب على أسلوب، ويبعدوها إعجاز القرآن^(٣٨)، فهو يرى أنه باب عظيم المحسن، تتعدد طرقه وأساليبه بتعدد نوع المقدم وموقعه، ونوع الأسلوب الذي يقع فيه، ونظرًا لاتساع مجالاته ومقاماته، لا يمكن الوصول إلى نهاية محسنه، إذ كلما كثر فيه التأمل نجده يلوح لنا منه بميزة طريفة، بل كلما تأملناه نكتشف سرًا مكنونًا فيه.

ومن ثم فباب التقديم والتأخير الذي يمثل أحد أبواب معاني النحو عنده هو «باب كثير الفوائد، جم المحسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفتر لك عن بديعة، ويفضي بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شعراً يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راولك ولطف عندك، أن قدم فيه شيء، وحول اللفظ عن مكان إلى مكان»^(٣٩)، وتحدث عن أوجه تقديم الشيء، وبين أن هناك تقديمًا يكون فيه المقدم محتفظاً بحكمه وجنسه كما عند التأخير وهو ما سماه (التقديم على نية التأخير) كالخبر الذي يقدم على المبتدأ نحو (مُنْظَلِّ زَيْدٌ)، والمفعول إذا قدم على الفاعل نحو (صَرَبَ عَمْرًا زَيْدًا)... وأن هناك تقديمًا لا يقصد فيه أن يبقى المقدم على حكمه الذي كان عند التأخير وهو ما سماه (التقديم لا على نية التأخير).

لم يقتنع عبد القاهر بما قدمه سيبويه في بيان أغراض التقديم والتأخير الذي جعلها في

(٣٨) بدوي، أحمد أحمد، عبد القاهر الجرجاني (أعلام العرب)، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر الدار المصرية للتأليف والترجمة، ص ٣٩.

(٣٩) الجرجاني، عبد القاهر دلائل الإعجاز، ص ١٦.

الأصلية في التركيب العادي وذلك لأمن اللبس، فجعلوا (موسى) فاعلًا، و(عيسى) مفعولًا.

ومن ثم فالنحاة بينوا الرتب التي يجوز فيها التقديم والتأخير والرتب التي لا يجوز فيها، ووضعوا في ذلك قواعد ينتج عنده احترامها صواب في الكلام وسلامة في التركيب. إلا أن اهتمام النحاة بهذا الباب ظل مرتبطاً بمبدأ مراعاة الأصل، وهو المبدأ الذي انطلق منه البلغيون في بحثهم عن الأسرار والمزايا التي تكون وراءه، مما جعل هذا الباب يشتراك في دراسته كل من النحويين والبلغيين، إلا أنهما اختلفا فقط من جهة التناول، إذ تناوله النحاة من جهة البحث في الصحة والصواب وسلامة التركيب، في حين تناوله البلغيون من جهة البحث في الأسرار والمزايا واللطائف التي تحدث وراء كل تغيير في الترتيب الأصلي لعناصر التركيب.

ويعتبر عبد القاهر الجرجاني من العلماء الذين تناولوا باب التقديم والتأخير حيث انطلق فيه مما انتهى إلى عصره من قواعد وضوابط في هذا الباب وتجاوزه ليبحث فيه عن النكبات البلغية والمزايا الفنية التي تمثل أحد تجليات النحو البلغى، التي تبرز من خلال حديثه عن تلك الفروق الدلالية التي بين التقديم والتأخير في عناصر التركيب، وهي فروق لم يقف فيها عبد القاهر عند سلامته التركيب، بل امتد بها إلى فنية التركيب، إذ ربطه بمقامات الكلام ومقاصد المتكلمين، مما ينتج عنه مزايا وفوائد تبرز مكانة باب التقديم والتأخير، فهو «من الأبواب التي

وإنما سعى إلى الدفاع عنه في كل قضية وفي كل باب من الأبواب النحوية التي تطرق لها، مما يدل على مكانة النحو وأهميته البارزة في معرفة أسرار التراكيب. ولأجل ذلك «مضى عبد القاهر يسوق أمثلة مشيرةً فيها إلى جمال التعبير النحوي، وحسن ما يداخله من صيغة فعلية أو تقديم وتأخير أو وضع للفاء، أو ثم، أو فصل للكلام واستئناف، أو تكير أو تعريف»^(٤٢).

وقد انطلق عبد القاهر في تبيان أسرار هذا الباب من بيان الفرق بين:

تقديم الفعل وتقديم الفاعل في الاستفهام

بين عبد القاهر أن تقديم الاستفهام بالفعل يختلف عن تقديم الاستفهام بالاسم: فتقديم الاستفهام بالفعل يفيد مزية فنية تتجلى في إفادة (الشك في الفعل) نحو (أفعلت؟) ليكون الغرض هو السؤال عن الفعل (ووقع أم لم يقع) دون الحاجة إلى معرفة فاعل ذلك الفعل. في حين يختلف الأمر عند تقديم الاستفهام بالاسم، الذي يفيد أيضًا مزية الشك نحو (أأنت فعلت؟) لكن هذه المرة ليس في الفعل وإنما في الفاعل من هو؟ وزاد عبد القاهر في توضيح هذا الفرق بين تقديم الفعل وتقديم الاسم في الاستفهام الحقيقي والمزايا الفنية التي هي وراء هذا التقديم في التراكيب بقوله «ومثال ذلك أنك تقول: (أَبَيَّنْتَ الدَّارَ الَّتِي كُنْتَ عَلَى أَنْ تَبْنِيَهَا؟)، (أَقْلَتَ السَّعْرَ الَّذِي كَانَ فِي تَقْبِيسَكَ أَنْ تَقْوِلَهُ؟)،

(٤٢) ضيف، شوقي، البلاغة تاريخ وتطور ص ١٧٦.

العناية والاهتمام، نلمس ذلك من قوله «واعلم أنا لم نجدهم اعتمدوا فيه شيئاً يجري مجرى الأصل، غير العناية والاهتمام». قال صاحب الكتاب، وهو يذكر الفاعل والمفعول: (كأنهم يقدمون الذي بيانيه أهم لهم، وهم ببيانه أعنى، وإن كانوا جمِيعاً يُهْمَانُهُمْ ويعنِيَانُهُمْ) ولم يذكر في ذلك مثلاً^(٤٣)، وهذا إن دل فإنما يدل على أن عبد القاهر يدرك أن لباب التقديم والتأخير أغراضًا ومزايا أخرى لا تتحصر فقط في غرض العناية والاهتمام الذي أشار إليها سيبويه، ومن ثم لا ينبغي الاكتفاء بالقول بأن غرض التقديم والتأخير يتجلى فقط في العناية والاهتمام، ذلك يذكر من أين كانت تلك العناية؟ و بم كان أهم؟ ولتخيلهم ذلك، قد صغر أمر (التقديم والتأخير) في نفوسهم، وهمونوا الخطاب فيه، حتى إنك لترى أكثرهم يرى تتبعه والنظر فيه ضررًا من التكلف. ولم ترظنا أزرى على صاحبه من هذا وشيئه^(٤٤)، فرغم افتقارهم على القول بأنه للعناية والاهتمام لم يبرزوا مصدر العناية، ولم يذكروا سبب الاهتمام، وتركوا الكلام مجملًا مبهماً، مما جعل أمر التقديم والتأخير يصغر في نفوسهم لأنهم غير قادرين على اكتشاف باقي أسراره الخفية، ولعجزهم عن ذلك اعتبروا النظر فيه ضررًا من التكلف.

مما يجعلنا ندرك أن عبد القاهر لم يكتف بالدفاع عن النحو في فصول محددة من كتابه.

(٤٣) دلائل الإعجاز، ص ١٧٦.

(٤٤) الجرجاني، عبد القاهر دلائل الإعجاز، ص ١٨.

تقديم الفعل وتقديم الاسم في الاستفهام التقريري

تحدث عبد القاهر عن الفرق بين تقديم الفعل وتقديم الفاعل في الاستفهام التقريري قائلاً: «واعلم أن هذا الذي ذكرت لك في (الهمزة وهي للاستفهام) قائم فيها إذا هي كانت للتقرير فإذا قلت: (أَأَنْتَ فَعَلْتَ ذَاكَ؟)، كان غرضك أن تقرره بأنه الفاعل، يبين ذلك قوله تعالى، حكاية عن قول نمروود: «أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا إِلَيْنَا يَإِبْرَاهِيمُ ﴿٤٤﴾ لا شبهة في أنهم لم يقولوا ذلك له ﴿٤٥﴾ وهم يريدون أن يقر لهم بأن كسر الأصنام قد كان، ولكن أن يقر بأنه منه كان، وكيف؟ وقد أشاروا له إلى الفعل في قوله: «أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا»، وقال هو ﴿٤٦﴾ في الجواب: «بَلْ فَعَلَهُ كِبِيرُهُمْ هَذَا»، ولو كان التقرير بالفعل لكان الجواب: (فعلت، أو: لم أفعل)﴾. فيتضح من الآية التي أوردها عبد القاهر أن الكفار أرادوا من خلال استفهمهم لإبراهيم ﴿٤٧﴾ أن يقرروه بأنه الفاعل، لذلك قدموا الاسم على الفعل، وذلك لاهتمامهم بالفاعل لا بالفعل، خاصة أن الفعل ظاهر أمامهم ومسار إليه فلا معنى للتقرير به، إذ لو كان هدفهم من استفهمهم التقرير بالفعل لكان جواب إبراهيم ﴿٤٨﴾ (فعلت أو لم أفعل)، لكنه أجاب بنسبة الفعل إلى (كبيرهم)، فكان ذلك نفيًا لما طلبوه من نسبة الفعل إليه دون غيره، مما يتضح أن الغرض والمزية الفنية من الاستفهام

(أَفَرَغْتَ مِنَ الْكَتَابِ الَّذِي كُنْتَ تَكْتُبُهُ؟)، تبدأ في هذا ونحوه بالفعل، لأن السؤال عن الفعل نفسه والشك فيه، لأنك في جميع ذلك متعدد في وجود الفعل وانتقامه، مجوز أن يكون. قد كان، وأن يكون لم يكن. وتقول: (أَأَنْتَ بَيْتَ هَذِهِ الدَّارِ؟)، (أَأَنْتَ قُلْتَ هَذَا السُّفْرَ؟)، (أَأَنْتَ كَتَبْتَ هَذَا الْكِتَابَ؟)، فتبدأ في ذلك كله بالاسم، ذاك لأنك لم تشك في الفعل أنه كان. كيف؟ وقد أشرت إلى الدار مبنية، والشعر مقولاً، والكتاب مكتوباً، وإنما شكت في الفاعل من هو؟﴾﴾.

ومن ثم يتضح أن المسئول عنه بالهمزة هو ما يليها من فعل أو اسم، فكل موضعه الخاص به ولا يصح وضع أحدهما موضع الآخر؛ لأن ذلك يؤدي إلى فساد التركيب النحوي، فمن الأمثلة التي أعطاها عبد القاهر للتوضيح هذا الفساد في التركيب الناجح عن وضع الاسم موضع الفعل، ووضع الفعل موضع الاسم قوله: (أَأَنْتَ بَيْتَ الدَّارِ الَّتِي كُنْتَ عَلَى أَنْ تَبْنِيَهَا؟)، فتقديم الاسم في المثال يشعر أنه هو المشكوك فيه وأن الفعل ثابت لا شك فيه، مع أن الشك إنما هو في ثبوت الفعل لا في الفاعل، لذلك نرى عبد القاهر حريضاً على سلامة التركيب، وذلك من خلال التنبية إلى المواقع التي لا تقبل التقديم والتأخير.

ويين أيضًا أنه لا يصح أن تقول (أَبَيْتَ هَذِهِ الدَّارِ؟)، إذ إن تقديم الفعل يفيد أنه شاك في بنائها مع أن الإشارة إليها تدل على أنها مبنية مشاهدة وإنما الشك في الباني.

(٤٤) سورة الأنبياء، الآية، ٦٢.

(٤٥) سورة الأنبياء، الآية، ٦٣.

(٤٦) الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص ١١٣.

(٤٧) الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص ١١١.

الجهل العظيم، ذلك أنه كان من المشركين زعم ينطوي على جهل عظيم، وهو أن الله تعالى خصمهم بالبنيين واتخذ من الملائكة بنائاً اصطفاهم، فكانت هاتان الآيتان رداً على المشركين وتذكيّة لهم في هذا الزعم بواسطة الاستفهام الإنكاري. وقد دخل على الماضي مما يدل على أنه لم يكن ولم يحدث، وتابع الاستفهام في آية الصافات جعل سياقها حافلاً بالتأنيب والتبكيت، ومن ثم يتضح أن الاستفهام الإنكاري استفهام توبّخي لفعل قد وقع، واستفهام تذكيّي لفعل لم يقع ولكن أدعى أحد أنه وقع فيكذب فيه.

أما الإنكار بالفعل المضارع، فبين عبد القاهر أنه إذا قلت: (أَتَفَعَلْ؟) كان المعنى على أنك أردت أن تقرره بفعل هو يفعله، وكتبت كمن يوهم أنه لا يعلم بالحقيقة أن الفعل كائن، واستشهد بقول أمير القيس:

أَيْقُتُلُنِي وَالْمُشْرِفُ مُضَاجِعٍ... وَقَسْنُونَةٌ
رُزْقٌ كَأَيْبَابِ أَغْوَالٍ^(٤٩)

ليبين من خلاله أن الاستفهام بالفعل المضارع قد أفاد معنى الإنكار إذ إن أمير القيس كذب من خلال تقديم الفعل المضارع بعد همزة الاستفهام الإنسان الذي يريد قتله، وكشف من خلال هذا الاستفهام إنكاره لهذا الفعل واستحاله تحققه أو حصوله، فلما كانت المزية في إنكار الفعل قدم الفعل المضارع إذ هو محل الاهتمام.

(٤٩)- أمير القيس، ديوان أمير القيس، اعتنى به عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية ٤٠٢..٤، ص ٣٧.

في الآية هي التقرير بالفاعل وليس بالفعل، ويوضح الفرق بين التقرير بالفعل والتقرير بالاسم، ذلك أنك إذا قدمت الفعل فقلت «أُقْتُلْتَ؟» فإنك تقرر بحصول القتل منه، من غير أن تقرر على غيره بالقتل، فجائز أن يكون غيره قد قتل، وجائز ألا يكون، ولكن إذا قدمت الاسم فقلت (أَنْتَ قَتَلْتَ؟) فإنك تقرر بأنه القاتل دون غيره، فيكون تقديم الفاعل في هذا الترتيب قد أفاد مزية فنية تتجلى في (التخصيص).

تقديم الفعل، وتقديم الفاعل، تقديم المفعول في الاستفهام الإنكاري

انتقل عبد القاهر للحديث عن التقديم والتأخير في الاستفهام الإنكاري، معتبراً المنكراً يجب أن يلي الهمزة سواء أكان المنكراً فعلًا أو فاعلًا أو مفعولاً أو غير ذلك. وسعى إلى استقادام الشواهد الموضحة لذلك.

ففيما يخص الإنكار بالفعل الماضي، فقد استشهد عبد القاهر بقوله تعالى (أَفَاصْفَدْكُمْ رِبُّكُمْ بِالْبَيْنَ وَلَخَدَ مِنَ الْمَلِكَةِ إِنَّهَا إِنْكَرْتُمْ لَتَقْتُلُونَ قَوْلًا عَظِيمًا^(٤٧))، وقوله تعالى: (أَصْطَفَنِي الْبَيْتَ عَلَى الْبَيْنَينِ^(٤٨) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ^(٤٩))، فأفاد تقديم الاستفهام بالفعل مزية تتجلى في (الإنكار) واستبعاداً للفعل، فاعتبر عبد القاهر ذلك رداً على المشركين وتكذيباً لهم في قولهما ما يؤدي إلى هذا

(٤٧)- سورة الإسراء، الآية ٤.

(٤٨)- سورة الصافات، الآية ١٥٤-١٥٣.

وَلِيًّا). (أَنْذُعُونَ غَيْرَ اللَّهِ؟) وذلك لأنَّه قد حصل بالتقديم معنى قوله: (أَيْكُونُ غَيْرَ اللَّهِ بِمَنَابَةِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلِيًّا؟ وَأَيْرَضِي غَالِقًا مِنْ نَفْسِهِ أَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ؟ وَأَيْكُونُ جَهْلًا أَجْهَلَ وَعَقْدًا أَغْمَى مِنْ ذَلِكَ؟)، ولا يكون شيء من ذلك إذا قيل: (أَتَّخِذَ غَيْرَ اللَّهِ وَلِيًّا). وذلك لأنَّه حينئذ يتناول الفعل أن يكون فقط، ولا يزيد على ذلك، فاعرفه»^(٥٣). ومن ثم يتضح أن التقديم المفعول كما هو ظاهر في الآيتين السالفتين الذكر مزيتان، تتجلى المزية الأولى في (الاختصاص)، إذ يتوجه الإنكار إلى المقدم خصوصاً، مما يشير ضمنياً إلى المزية الثانية المتمثلة في (الاستخفاف) بما اخذه من دون الله ودعوه، مع تشريع ما فعلوه وأنه لا يليق بمن له عقل، لأنَّه ترك للقادر الذي هو الله عز وجل، وتوجه للعجز الذي هو غير الله تعالى.

ويخلص عبد القاهر إلى أن المقصود من التقديم والتأخير في الاستفهام الدال على الإنكار يتجلى أساساً في «تبه السامع حتى يرجع إلى نفسه فيخرج ويرتد ويعيي بالجواب، إما لأنَّه قد ادعى القدرة على فعل لا يقدر عليه، فإذا ثبت على دعواه قيل له: (فافعل)، فيفضحه ذلك وإنما لأنَّه هم بأن يفعل ما لا يستصوب فعله، فإذا روجع فيه تبه وعرف الخطأ وإما لأنَّه جوز وجود أمر لا يوجد مثله، فإذا ثبت على تجويزه قبح على نفسه، وقيل له: (فأرناه في موضوع وفي حال، وإنمَّا شاهدًا على أنه كان في وقت)»^(٥٤).

وإذا كان غرض المتكلم إنكار الاسم أي الفاعل والمفعول وجوب تقديمه وتأخير الفعل المضارع بعده «فإن بدأت بالاسم فقلت: (أَأَنْتَ تَفْعَلُ؟) أو قلت (أَهُوَ يَفْعَلُ؟)، كنت وجئت الإنكار إلى المذكور نفسه، وأببنت أن تكون بموضع أن يجيء منه الفعل وممن يجيء منه، وأن يكون بتلك المثابة»^(٥٥)، فمثال إنكار الفاعل أن تقول لشخص يريده منع حرك (أَأَنْتَ تَمْنَعُنِي حَقًّي؟) وقصدك في ذلك أن غير ذلك الشخص يستطيع منعه، أما الشخص ذاته فلا، ومن ثم يستفاد من استفهامك وتقديم الفاعل إنكارك له.

أما تقديم المفعول في الإنكار، فنحو قوله (أَزَيْدًا تَضَرِّبُ؟) فأنَّت لا تنكر صدور الضرب من المخاطب، وإنما تنكر أن يكون المضروب (زياداً) لأنَّه مما لا يصح أن يجترأ عليه، ولم يقف عند هذا الحد بل امتد إلى بيان مزية تقديم المفعول في الاستفهام الإنكاري أيضاً في القرآن الكريم من خلال استشهاده بقوله تعالى «فُلْ أَغَيْرُ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا»^(٥٦)، وقوله تعالى: «فُلْ أَرَبَّكُمْ إِنْ أَتَّكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَّكُمْ الْسَّاعَةُ أَغَيْرُ اللَّهِ تَدْعُونَ»^(٥٧)، فسعى إلى الإقناع بمزية التقديم والتأخير الآيتين حتى يقف الناظر بين التقديم والتأخير الآيتين حتى يقف الناظر بنفسه على مزية التقديم، إذ نجده معلقاً على تقديم المفعول وإبراز مزيته الفنية قائلاً: «وكان له من الحسن والمزية والفخامة، ما تعلم أنه لا يكون لو آخر فقيل: (فُلْ أَتَّخِذُ غَيْرَ اللَّهِ

(٥٣) الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص ١٦.

(٥٤) سورة الأنعام، الآية ١٤.

(٥٥) سورة الأنعام، الآية ٤.

(٥٦) الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص ١٣-٢٢.

(٥٧) الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص ٢٠-٢٩.



ذلك عند تقديم المفعول، إذ لا يمكن القول (ما زَيْدًا ضَرَبَتْ، وَلَا أَحَدًا مِنَ النَّاسِ) لأن تقديم المفعول قد أفاد نفي الضرب عنه خصوصاً، وهذا لا يمنع أن غيره قد ضرب، لكن لا يمكن نفي وقوع الضرب على كل أحد.

وقد انتقل عبد القاهر للحديث عن التقديم في الخبر المثبت، فبين أنه إذا عمدت إلى الذي تريده أن تحدث عنه بفعل، فإنك تقدم ذكره، ثم تبني الفعل عليه، فقلت (زَيْدٌ قَدْ فَعَلَ) اقتضى أن يكون القصد إلى الفاعل إلى أن المعنى ينقسم في ذلك إلى قسمين: يتجلى القسم الأول عند عبد القاهر في كونك قد أردت أن تنص على أن الفعل لواحد دون واحد، أو دون كل أحد.

في حين يتجلى القسم الثاني عنده أنك تريدين أن تتحقق للسامع أنه قد فُعل، وتمنه من الشك، فأنت لذلك تبدأ بذكره، وتقديمه لكي تباعد السامع من الشبهة وتمنه من الإنكار فأعطي في توضيح هذين القسمين جملة من الأمثلة الموضحة لهما، إلى أن قال: «وهذا الذي قد ذكرت من أن تقديم ذكر المحدث عنه يفيد التنبية له، قد ذكره صاحب الكتاب في المفعول إذا قدم فرفع بالابتداء، وبني الفعل الناصب كان له عليه وعدي إلى ضميره فشفل به. كقولنا في (ضَرَبَتْ عَبْدَ اللَّهِ). (عَبْدَ اللَّهِ ضَرَبَتْهُ). فقال: (إنما) قلت: (عبد الله)، فنبهته له، ثم بنت عليه الفعل، ورفعته بالابتداء»^(٥٥)، وبذلك يتضح أن جذور التقديم والتأخير قد نبتت في تربة النهاة، وشهادة عبد القاهر بنقله عن

(٥٥) الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز ص ١٣٣.

تقديم الفعل وتقديم الفاعل، وتقديم المفعول في الخبر

بعدما انتهى من بيان مسائل التقديم في الاستفهام سواء الحقيقى أو التقريري أو الإنكارى، انتقل إلى بيان مواضع التقديم في الخبر، ولما كان الخبر ينقسم إلى خبر مثبت وخبر منفي، بدأ عبد القاهر حديثه عن مسائل الخبر المنفي، فبين أن تقديم الفعل نحو (ما فَعَلْتُ) يفيد مزية نفي فعل لم يثبت أنه مفعول، في حين يفيد تقديم الفاعل (ما أَنَا فَعَلْتُ هَذَا) مزية تجلى في نفي فعل قد ثبت أنه مفعول، ومن ثم فالفرق بين تقديم الفعل وتقديم الفاعل في الخبر المنفي يتجلى في أن تقديم الفعل يفيد مزية (نفي الفعل)، في حين يفيد تقديم الفاعل يفيد أن الفعل قد وقع وأنه منفي عن المسند إليه خصوصاً، وأنه مثبت لغيره بطريق الفحوى، ويزيد عبد القاهر في توضيح هذا الأمر بجملة من الأمثلة، مبيناً الفرق بين تقديم الفعل وتقديم الفاعل في الخبر المنفي، ثم ينتقل للحديث عن تقديم المفعول في الخبر المنفي، فيبرز أن تقديم المفعول يفيد تخصيص المفعول بالنفي نحو (ما زَيْدًا ضَرَبَتْ) إذ أفاد تقديم المفعول (زَيْدًا) تخصيصه بنفي الضرب عنه، وهذا يدل ضمنياً على أن ضرراً وقع منك على غيره، وبين أن تقديم المفعول يفيد غير ما يفيده تقديم الفعل على نحو ما سبق مع الفاعل؛ فقد وضح أنه يصح عند تقديم الفعل أن تقول (ما ضَرَبَتْ زَيْدًا، وَلَا أَحَدًا مِنَ النَّاسِ) ولا يصح

إلا أنك تعلمه إياه من بعد تقدمة وتنبيه، أنت به في حكم من بدأ وأعاد ووطد، ثم بنى ولوح ثم صرح. ولا يخفى مكان المزية فيما طريقه هذا الطريق»^(٥٨)، ومن ثم يكون استشهاد عبد القاهر بالآتين مبيناً لما فيهما من تفسير بعد إضمار يحقق ما يتحققه التقديم من مزية (التفخيم والتلبيه) اللذين بواسطتهما يشرف المعنى ويقوى بها الأسلوب.

وهكذا مضى عبد القاهر يتحدث عن التقديم والتأخير في عدة موضع، ويفصل القول فيها مبرزاً مكانة التقديم والمعانى التي تترتب عنه مما قد لا يحصل دون التقديم والتأخير. فتحدث عن التقديم الذي يكون بعد واو الحال، وكذلك التقديم في الخبر المنفي، وتعرض لتقديم مثل وغيره، وتحدث عن عدة مسائل متعلقة بالتقديم والتأخير.. حريضاً في ذلك على بيان السر البلاغي والمزية الفنية التي تكون وراء السلامة النحوية في التركيب من خلال تقديم كل عنصر من عناصر الجملة أو الجمل في مختلف موضع الكلام، يتضح ذلك من خلال توجيهه للأذهان إلى ما للتقديم من أثر في الوجود، ويوجه النظر إلى المزايا الناتجة عن التغيرات الظاهرة في التركيب من تقديم وتأخير، إذ تعود بدورها إلى ما في النفس من ترتيب المعانى وفق ما يقتضي المقام ويتطلبه. دون أن يخرج عن القواعد النحوية التي أسسها النحاة، والتي سعى إلى إلباشها الشوب الذي يجب أن يكون لها، واستطاع أن يروي جذور هذه القواعد ببيانها

سيبويه سواء في هذا الموضع أو غيره من الموضع يمثل أبرز دليل على ذلك، ذلك أن سيبويه قد لفت إلى أن في هذا التقديم تنبيهاً للمقدم، وذلك قبل بناء الفعل عليه، إلا أن عبد القاهر قد نقلها إلى نوع آخر من التقديم وهو تقديم الفاعل على الفعل، وفضل فيه وحل في سياق حديثه عن شواهد لا يكون التقديم فيها للتصنيص فقط، وإنما للتنبيه إلى المقدم، مما يدل على أن عبد القاهر لا ينغلق على أفكار السابقين وإنما يسعى إلى إنشاجها وقطف ثمارها، ولا ينسى في ذلك أن ينسب الفضل إلى أهله، فيذكر كما في هذا الصدد أن فكرة تقديم ذكر المحدث عنه يفيد (التنبيه).

وفي هذا السياق يقول عبد القاهر: «وجملة الأمر أنه ليس إعلامك الشيء بفتحة غفلًا، مثل إعلامك له بعد التنبيه عليه والتقديمة له، لأن ذلك يجري مجري تكرير الإعلام في التأكيد والإحكام. ومن ههنا قالوا: إن الشيء إذا أضمر ثم فسر كان ذلك أفحى له من أن يذكر من غير تقدمة إضمار يدل على صحة ما قالوه: أن نعلم ضرورة في قوله تعالى: **﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَلُ الْأَبْصَرُ﴾**^(٥٩)، فخامة وشرفاً وروعة، لا نجد منها شيئاً في قولنا: **﴿فَإِنَّ الْأَبْصَارَ لَا تَعْمَلُ﴾**^(٦٠)، وشراً وفلاحة عن الكافرين، ما لو قيل: (إن الكافرين لا يفلحون)، لم يستفده ذلك. ولم يكن ذلك كذلك

(٥٨) سورة الحج، الآية ٤٦.

(٥٩) سورة المؤمنون، الآية ١٧.

لم يفـد ذلك، ولم يكن فيه شيء أكثر من الإـخبار عنـهم بأنـهم عـبـدوا الجنـ معـ اللهـ تـعـالـيـ. فـأـمـا تـأـكـيرـ أنـ يـعـبـدـ معـ اللهـ غـيرـهـ، وـأـنـ يـكـوـنـ لـهـ شـرـيكـ منـ الجنـ وـغـيرـ الجنـ، فـلـاـ يـكـوـنـ فـيـ الـلـفـظـ معـ تـأـكـيرـ «ـالـشـرـكـاءـ» دـلـيـلـ عـلـيـهـ. وـذـلـكـ أـنـ التـقـدـيرـ يـكـوـنـ مـعـ التـقـدـيمـ؛ أـنـ (ـشـرـكـاءـ) مـفـعـولـ أـوـلـ لـجـعـلـ. (ـوـالـلـهـ) فـيـ مـوـضـعـ الـمـفـعـولـ الثـانـيـ. وـيـكـوـنـ (ـالـجـنـ) عـلـىـ كـلـامـ ثـانـيـ. وـعـلـىـ تـقـدـيرـ أـنـهـ كـانـ قـيـلـ: (ـفـمـنـ جـعـلـواـ شـرـكـاءـ لـلـهـ تـعـالـيـ؟ـ). فـقـيـلـ: (ـالـجـنـ). إـنـاـ كـانـ تـقـدـيرـ فـيـ (ـشـرـكـاءـ) أـنـهـ مـفـعـولـ أـوـلـ، (ـوـالـلـهـ) فـيـ مـوـضـعـ الـمـفـعـولـ الثـانـيـ، وـقـعـ الإـنـكـارـ عـلـىـ كـوـنـ شـرـكـاءـ لـلـهـ تـعـالـيـ عـلـىـ الإـطـلـاقـ. مـنـ غـيرـ اـخـتـصـاصـ شـيـءـ دـوـنـ شـيـءـ. وـحـصـلـ مـنـ ذـلـكـ أـنـ اـتـخـاذـ الشـرـيكـ مـنـ غـيرـ الجنـ قـدـ دـخـلـ فـيـ الإـنـكـارـ دـخـولـ اـتـخـاذـهـ مـنـ الجنـ، لـأـنـ الصـفـةـ إـذـ ذـكـرـتـ مـجـرـدـ غـيرـ مـجـرـةـ عـلـىـ شـيـءـ. كـانـ الـذـيـ تـعـلـقـ بـهـاـ مـنـ النـفـيـ عـاـمـاـ فـيـ كـلـ مـاـ يـجـوزـ أـنـ تـكـوـنـ لـهـ تـلـكـ الصـفـةـ»^(١).

وـمـنـ خـلـالـ هـذـاـ التـحـلـيلـ الدـقـيقـ لـعـبـدـ الـقـاـهـرـ الـذـيـ يـبـرـزـ فـيـ دـقـةـ التـرـكـيـبـ الـقـرـآنـيـ فـيـ التـعـبـيرـ عـنـ أـغـرـاضـهـ، ذـلـكـ أـنـ كـلـ تـقـدـيمـ أـوـ تـأـكـيرـ فـيـ التـرـكـيـبـ الـقـرـآنـيـ يـكـوـنـ مـقـصـودـاـ وـوـرـاءـهـ أـهـدـافـ وـغـيـاـتـ. فـإـذـاـ عـدـنـاـ إـلـىـ تـحـلـيلـ عـبـدـ الـقـاـهـرـ لـلـآـيـةـ السـالـفـةـ الذـكـرـ سـنـجـدـ أـنـ الـمـعـنـىـ الـأـوـلـ الـذـيـ يـظـهـرـ مـنـ ظـاهـرـ الـآـيـةـ هـوـ (ـالـإـخـبـارـ) بـأـنـ الـمـشـرـكـيـنـ جـعـلـواـ الجنـ شـرـكـاءـ وـعـبـدـوـهـمـ مـعـ اللهـ تـعـالـيـ. وـهـذـاـ الـمـعـنـىـ حـاـصـلـ مـعـ التـأـكـيرـ نـحـوـ (ـجـعـلـواـ الـجـنـ شـرـكـاءـ اللهـ). لـكـنـ تـقـدـيمـ (ـشـرـكـاءـ) أـفـادـ هـذـاـ الـمـعـنـىـ، وـأـفـادـ مـعـنـىـ آـخـرـ هـوـ

فـكـرـهـ الـنـيـرـ، حـتـىـ أـصـبـحـتـ قـوـاعـدـ مـثـمـرـةـ تـبـرـزـ مـعـهـ الـمـزـيـةـ فـيـ الـكـلـامـ. وـمـنـ ثـمـ اـرـتـقـىـ بـبـابـ التـقـدـيمـ وـالتـأـكـيرـ مـنـ مـسـتـوـيـ سـلـامـةـ التـرـكـيـبـ إـلـىـ مـسـتـوـيـ فـنـيـةـ التـرـكـيـبـ.

وـخـيـرـ دـلـيـلـ عـلـىـ هـذـاـ الـاـرـتـقاءـ تـحـلـيلـ عـبـدـ الـقـاـهـرـ لـبـعـضـ الـآـيـاتـ الـقـرـآنـيـةـ، كـوـلـهـ تـعـالـيـ: (ـوـجـعـلـواـ لـلـهـ شـرـكـاءـ الـجـنـ) ^(٥٩)، فـيـبـرـزـ فـيـ هـذـهـ الـآـيـةـ مـزـيـةـ تـقـدـيمـ شـرـكـاءـ مـنـ خـلـالـ تـحـلـيلـهـ الـرـائـعـ الـذـيـ يـصـورـ عـمـقـ تـفـكـيرـهـ وـالـنـفـاذـ إـلـىـ مـاـ وـرـاءـ التـرـكـيـبـ لـلـوـصـولـ إـلـىـ الـمـزـيـةـ الـمـقـصـودـةـ الـتـيـ تـمـثـلـ أـحـدـ تـجـلـيـاتـ النـحـوـ الـبـلـاغـيـ فـيـ الـآـيـةـ، نـلـمـسـ ذـلـكـ مـنـ تـحـلـيلـهـ الـدـقـيقـ. وـفـيـ ذـلـكـ يـقـولـ: (ـلـيـسـ بـخـاـفـيـ أـنـ تـقـدـيمـ (ـشـرـكـاءـ) حـسـنـاـ وـرـوعـةـ وـمـأـخـدـاـ مـنـ الـقـلـوبـ، أـنـتـ لـاـ تـجـدـ شـيـئـاـ مـنـهـ إـنـ أـنـتـ أـخـرـتـ فـقـيـلـ: (ـوـجـعـلـواـ الـجـنـ شـرـكـاءـ اللهـ)، وـأـنـكـ تـرـىـ حـالـكـ حـالـ مـنـ نـقـلـ عـنـ الـصـورـةـ الـمـبـهـجـةـ وـالـمـنـظـرـ الـرـائـقـ وـالـحـسـنـ الـبـاهـرـ، إـلـىـ الشـيـءـ الـغـفـلـ الـذـيـ لـاـ تـحـلـىـ مـنـهـ بـكـثـيرـ طـائـلـ، وـلـاـ تـصـيرـ النـفـسـ بـهـ إـلـىـ حـاـصـلـ. وـالـسـبـبـ فـيـ أـنـ كـانـ ذـلـكـ كـذـلـكـ، هـوـ أـنـ لـتـقـدـيمـ فـائـدـةـ شـرـيفـةـ وـمـعـنـىـ جـلـيلـاـ لـاـ سـبـيلـ إـلـيـهـ مـعـ التـأـكـيرـ. بـيـانـهـ، أـنـاـ وـإـنـ كـانـاـ نـرـىـ جـمـلـةـ الـمـعـنـىـ وـمـحـصـولـهـ أـنـهـمـ جـعـلـواـ الجنـ شـرـكـاءـ وـعـبـدـوـهـمـ مـعـ اللهـ تـعـالـيـ. وـكـانـ هـذـاـ الـمـعـنـىـ يـحـصـلـ مـعـ التـأـكـيرـ حـصـولـهـ مـعـ التـقـدـيمـ، فـإـنـ تـقـدـيمـ (ـشـرـكـاءـ) يـفـيدـ هـذـاـ الـمـعـنـىـ، وـيـفـيدـ مـعـهـ مـعـنـىـ آـخـرـ، وـهـوـ أـنـهـ مـاـ كـانـ يـنـبـغـيـ أـنـ يـكـوـنـ لـهـ شـرـيكـ، لـاـ مـنـ الجنـ وـلـاـ غـيـرـ الجنـ إـنـاـ أـخـرـ فـقـيـلـ: (ـجـعـلـواـ الـجـنـ شـرـكـاءـ اللهـ).

(١) الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص ٢٨٧-٢٨٦.

(٥٩) سورة الأنعام، الآية ..

الاستفهام الحقيقى، أو الاستفهام التقريري، أو الاستفهام الإنكارى، أو في الخبر سواء المثبت أو المنفى، وما أبرز في ذلك من فروق بين تقديم الفعل وتقديم الاسم أو تقديم الفعل وتقديم الفاعل وتقديم المفعول، دراسة تميزت بالعمق والدقة في بيان المزايا التي تكون وراء كل تركيب فيها تقديم وتأخير، فلم يقف في ذلك عند بيان ما قدم وما أخر فقط، وإنما امتد إلى استخراج المزايا الفنية التي تمثل أحد تجليات النحو البلاغي في باب التقاديم والتأخير.

خاتمة:

نستنتج من خلال ما سبقت الإشارة إليه في هذا البحث الخلاصات الآتية:

- إن للعلوم والمعارف في الفكر الإسلامي القديم منطقاً خاصاً يستمد من المنطلقات الفكرية والخلفيات الفلسفية الخاصة.
- تم التأثر في العالم الإسلامي بعد النهضة بالمناهج التي سلكتها الحضارة الغربية واعتمدتها في التعاطي مع العلوم والمعارف. فظهر التفكير والتديك، وظهر التخصص ففقدت المعرفة الدراسات التكاملية الشاملة.

إن الفلاح المعرفي والعلمي الذي تنشده الأمة اليوم حسب البحث رهين بقراءة جديدة للأفكار والعلوم: قراءة شاملة

المقصود من التركيب النحوي للآية وفيه تتجلى المزية التي هي إحدى ثمار النحو البلاغي. وأحد تجلياته في التقديم والتأخير الحاصل في الآية، وتتجلى هذه المزية في المعنى الثاني للآية الذي يمكن وراء تقديم (شُرَكَاء) وتأخير (الجن) ممثلاً في (الاستنكار). أي أن الله سبحانه وتعالى يستذكر على المشركين هذا الفعل المتمثل في جعلهم الجن شركاء وعبدوهم مع الله، وبذلك «فَإِنْ تَقْدِيمُ الْشُرَكَاءِ أَوْلَىٰ لِمَنْ يُشْرِكُ بِاللَّهِ مُشْرِكًا لِمَنْ لَوْ أَخْرَى»^(١). فلا ينبغي أن يجعل مع الله شريكاً لا من الجن ولا من غير الجن. وهذا المعنى لا يمكن الوصول إليه بالتأخير والاكتفاء بالترتيب الأصلي لعنانصر الجملة في الآية والقول: (جَعَلُوا الْجِنَّ شُرَكَاءَ اللَّهِ) لأن هذا الترتيب إنما يستفاد منه (الإخبار) فقط الذي هو المعنى الأول. في حين أفاد تقديم (شركاء) في قوله تعالى: (وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ) المعنى الأول المتمثل في (الإخبار)، وأفاد معه معنى آخر يمكن اعتباره المعنى الثاني أو معنى المعنى، والمتمثل في (الاستنكار). ومن ثم فالمزية الفنية وراء تقديم (شركاء) وتأخير (الجن) في قوله تعالى: (وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ) تتجلى أساساً في (الاستنكار). ومن ثم «فقد حرصت الجملة في القرآن، على أن يكون هذا التقديم، مثيراً إلى مفزي، دالاً على هدف»^(٢).

نخلص مما سبق إلى أن عبد القاهر في دراسته للتقديم والتأخير سواء في

(١) البحرياني، كمال الدين ميثم (ت٦٧٩هـ). أصول البلاغة.

تحقيق عبد القادر حسين. دار الشروق، ١٩٧٦م، ص. ٩٩.

(٢) بدوي، أحمد أحمد. من بلاغة القرآن. نهضة مصر القاهرة. ٢٠٠٥م، ص. ٩.

المستويات اللغوية حاجة ضرورية وملحة
لفهم أعمق لغة واللسان.

نشأت علوم اللغة في التراث العربي الإسلامي في ارتباط وثيق بالفلسفة والمنطق وعلوم الدين. ومختلف العلوم من جهة، ومن جهة أخرى حدث ارتباط تداخل بين المستويات اللغة وعلومها.

بدأ التوجه من جديد نحو التكامل والتدخل -
المعرفيين في جملة من الكتب الحديثة.
 خاصة في مجال الفكر الإسلامي. وهو ما
 ينم عن حس دقيق بخطورة التخصص
 وأثره على الحياة العلمية للأمة.

نخلص مما سبق أن عبد القاهر الجرجاني قد أدرك تكاملية العلاقة بين وظيفة علم النحو وعلم البلاغة، لذلك سعى إلى المزج بين الوظيفتين فنتج عنه نحو بلاغي جعله القلب النايلض لنظريته في النظم، إذ لم يوظف النحو بالمفهوم الذي انتهى إلى عصره، وإنما سعى إلى ربطه بالمقامات ومقتضيات الأحوال. وبأغراض المتكلمين، وهذه الأمور هي ما تبحث فيه البلاغة، مما أعطى ذلك النحو الذي وظفه كسوة بلاغية فنية تأثيرية.

البليوغرافيا:

- الأزبياري أبو بكر محمد بن القاسم، الظاهر في معاني كلمات الناس، ت: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، طا، ١٩٩٦م.
- بدوي، أحمد أحمد، عبد القاهر الجرجاني (أعلام

تجددية تكون نتاج دراسات ابستمولوجية
بديعة وبعيدة.

- يستمد التكامل المعرفي مصدره وأسسه من وحدة الهدف، ووحدة الوسائل، حيث نشأت العلوم لخدمة النص القرآني، وكتب العلماء رغبة في محبة الله وطلبًا لرضاه، استمدًا من وحدانية الله.

في المصنفات العربية الإسلامية القديمة -
والحديثة نصوص دقيقة في الأصول
المعرفية للعلوم الإسلامية تبين ارتباطها
بالإيمان وخدمتها جميعاً للغاية الإيمانية
وقيمة التوحيد باعتبارها قيمة مرجعية عليها.

نُسّأت حقيقة التكامل المعرفي في التراث
الإسلامي مستمدّة أصلّتها من حقيقة
الموسوعية التي ميزت العلماء المسلمين
سواء من خلال مختلف العلوم التي أفوا
فيها، أو استحضارهم ل دقائق مختلف العلوم
في تناولهم لقضية علم معين.

- كانت العلوم اللغوية موحدة متداخلة باعتبارها علوم آلة نشأت لخدمة النص القرآني وحفظه وتوضيح معانيه وألفاظه، فتكاملت فيما بينها التحقيق، الفادة الموحدة.

أسهمت اللسانيات الحديثة في تفكير العلوم اللغوية وتدريجها. فظهرت نظريات جزئية، واهتم اللسانيون بفروع اللغة ومستوياتها، مما أفقد الكثير منهم النظر الصحيح والسليم للظاهرة اللغوية وقضايا الألسن الطبيعية. هذا بالرغم من ظهور اتجاهات لسانية تب، التكاما، بن،

في التراث العربي. دار السلام للطبع والنشر والتوزيع والترجمة. مصر. طا. ٦. ٢٠٠٥م.

٤- الطنطاوي علي، في سبيل الإصلاح. دار المنارة للنشر والتوزيع. جدة. طا. ١٩٥٩م. ١٩٩٦م.

٥- كزار حسن. اللسانيات الاجتماعية في الدراسات العربية الحديثة. التلقى والتمثيلات. دار الرافدين للطباعة والنشر والتوزيع. العراق. طا. ٢٠١٨م.

٦- لاشين، عبد الفتاح. التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية. دار الريخ للنشر.

٧- المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد. الفاضل. تحقيق عبد العزيز الميموني. دار الكتب المصرية. القاهرة. ط٢. ١٩٩٥م.

٨- محمد، أحمد سعد. الأصول البلاغية في كتاب سيبويه وأثرها في الدرس البلاغي.

٩- مختار أحمد عمر. علم الدلالة. دار العروبة للنشر والتوزيع. ١٩٨٢م.

١٠- مرزوق، حلمي على. في فلسفة البلاغة العربية (علم المعاني). دار الفرقان للطباعة والنشر.

١١- امرؤ القيس. ديوان امرئ القيس. اعتنى به عبد الرحمن المصطاوي. دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية. ٤٠٢م.

١٢- ملكاوي فتحي حسن. منهجية التكامل المعرفي: مقدمات في المنهجية الإسلامية. المعهد العالمي للفكر الإسلامي. الولايات المتحدة الأمريكية. ١٩٨١م. ط٢. ١٦٢م.

١٣- همام محمد. تداخل المعرف ونهاية التخصص في الفكر الإسلامي العربي: دراسة في العلاقات بين العلوم. مركز نماء للبحوث والدراسات. دراسات فكرية (٩). بيروت-لبنان. طا. ٢٠١٨م.

العرب). المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر. الدار المصرية للتأليف والترجمة.

٣- بدوي، أحمد أحمد. من بلاغة القرآن. نهضة مصر القاهرة. ٥٠٢م.

٤- البحرياني، كمال الدين ميثم (ت١٧٩٦هـ). أصول البلاغة. تحقيق عبد القادر حسين. دار الشروق، ١٩٨٤م.

٥- ابن الأثير ضياء الدين. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، قدمه وعلق عليه. أحمد الحوفي، وبدوي طبانه. دار نهضة مصر للطباعة والنشر. القاهرة.

٦- ابن جني أبو الفتح عثمان. المنصف: شرح لكتاب التصريف للإمام أبو علي المازني النحوي البصري. تر: لجنة علمية منها الأستاذان إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين. إدارة إحياء التراث القديم. طا. ١٩٦١م.

٧- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم. أدب الكاتب. حققه وعلق حواسيه ووضع فهارسه. محمد التالى. مؤسسة الرسالة. سوريا.

٨- بودرع عبد الرحمن. الأسس المعرفية للغويات العربية. دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع. طا. ١٣٢٠م.

٩- الجابري محمد عابد. مدخل إلى فلسفة العلوم: العقلانية المعاصرة وتطور الفكر العلمي. مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان. ط٨.

١٠- حسان، تمام. اللغة العربية معناها ومبناها. عالم الكتب.

١١- خفاجي عبد المنعم، والسعدى محمد، وشرف، عبد العزيز. الأسلوبية والبيان العربي. الدار المصرية اللبنانية.

١٢- عباس حسن. النحو الوافي. دار المعرفة، مصر ط٣. ١٩٧٤م.

١٣- عبد الدايم محمد عبد العزيز. النظرية اللغوية